

الدرس الثامن والثلاثون

تفسير سورة القيامة: [٣٨ : ٤٠]

﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)﴾

إذا قوله : { فَخَلَقَ فَسَوَّى } [القيامة : ٣٨] ، طي لذكر بقية المراحل التي ذكرها الله تعالى في سورة المؤمنون : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } [المؤمنون : ١٢ - ١٦] ، وفي سورة الانفطار : { الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) } [سورة الانفطار] ، وقال : { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } [آل عمران : ٦] .

تبارك ربنا حينما تتفحص وجوه الناس لا تجد وجهين مُتطابقين!، حتى التوائم المتماثلة لا يتطابقون تماماً، أبصر الناس وأنت تسير في المسجد الحرام، حيث يأتون من كل فج عميق، وعلى صعيد عرفات حاول أن تجد شخصين نسخة واحدة، لا تجد! : { وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } [الذاريات : ٤٧] ، نعم تجد شبهاً ، لكن لا تجد تطابقاً لا في الهيئة ، ولا في اللون ، ولا في بصمة الاصبع تبارك ربنا سبحانه! .

قال: { **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** } [القيامة : ٣٩]، كانت البداية واحدة لكن الأمر آل إلى ذكورة وأنوثة، لكي تتم حكمة الله تعالى في التناسل والتزاوج والتكاثر، هذا تذكيرٌ عظيم لأولئك المنكرين للبعث ثم يختمها بهذا السؤال الساحق الماحق لشبهاتهم: { **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** } [القيامة : ٤٠]، بلى والله إن الذي خلق الخلق قادر على أن يُعيده ، بل هو أهون عليه! فكيف تنكرون البعث.

وقد جاء في بعض الأحاديث وحسَّنها بعض أهل العلم أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية أو سمعها فإنه يُشرع له أن يقول : سبحانك ف بلى: (**كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ: { أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } [القيامة: ٤٠]، قَالَ: «سُبْحَانَكَ»**)^(١)، وَمَنْ قَرَأَ: { **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى** } [القيامة: ٤٠]، فَلْيَقُلْ: **بَلَى**)^(٢). لأن هذا من تصديق خبر الله تعالى.

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى: إقسام الله بما شاء من الأزمنة والأمكنة والأشياء.

(١) أخرجه أبو داود رقم (٨٨٤).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٧٣٩١).

الفائدة الثانية: مناسبة المُقسم به للمُقسم عليه أو سياقه.

الفائدة الثالثة: المُقسم عليه إذا كان مُنتفياً جاز الإتيان بلام القسم لتأكيد النفي.

الفائدة الرابعة: إثبات المعاد وتأكيده والقطع بوقوعه.

الفائدة الخامسة: اتصاف المعاد بالقيام.

الفائدة السادسة: بيان حال من أحوال النفس الإنسانية.

الفائدة السابعة: أن التلوم يكون على الخير والشر والهدى والضلال.

الفائدة الثامنة: استعمال الاستفهام الانكاري لدحض الشبهات الباطلة وإتباعه بالجمل التقريرية الجازمة.

الفائدة التاسعة: الطبيعة الإنسانية المنحرفة بالكفر والفجور ، أو طول الأمل ، أو تعمد الكذب وغمط الحق.

الفائدة العاشرة: تشبث المنكرين للحقائق بأمر خارجة عن محل النزاع.

الفائدة الحادية عشرة: بيان جانب من أحوال يوم القيامة وأهوالها في النفس و الأفاق.

الفائدة الثانية عشرة: الحرج العظيم والمأزق الفظيع الذي ينتظر منكر البعث.

الفائدة الثالثة عشرة: استحالت الفرار والنجاة والملجأ من عذاب الله: {كَلَّا لَا وَزَرَ} [القيامة: ١١].

الفائدة الرابعة عشرة: إحاطة علم الله بجميع أعمال بني آدم

الفائدة الخامسة عشرة: إثبات العرض والحساب.

الفائدة السادسة عشرة: استيقان الجاحد من كذب نفسه وبصيرته بها رغم المماطلة.

الفائدة السابعة عشرة: أن من المعاذير منها حق ومنها باطل.

الفائدة الثامنة عشرة: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على البلاغ.

الفائدة التاسعة عشرة: تكفل الله بحفظ وحيه لفظاً ومعنى.

الفائدة العشرون: الرد على شبهات الطاعنين في القرآن.

الفائدة الحادية والعشرون: الرد على شبهات أهل التأويل والتجهيل والتخييل.

هذه طوائف ثلاثة ، أهل التأويل : الذين يقولون ليس المراد بقوله كذا كذا، بل المراد به كذا وكذا تقولاً من عند أنفسهم، ويدعون المجاز، وأهل التجهيل: الذين يقولون لا أحد يعلم بالمعنى إلا الله ، كيف وقد قال الله: **{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٩)}** ، سبحانه الله ! .. أنتم أصدق من الله قِيلاً ! .. أنتم أحسن من الله حديثاً حتى تقولوا بالتأويل والمجاز أو تقولوا بالتجهيل والتفويض ! .. فالله قد تكفل ببيان ما أنزل ، ونبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما نُزِّل إليه من ربه ، وأهل التخييل وهم: الزنادقة الذين يزعمون أن للنصوص ظهراً وبطناً وهؤلاء ليسوا من أهل الإسلام، بخلاف أهل التأويل وأهل التجهيل فهم من أهل الإسلام ومن أهل القبلة لكنهم ضلّوا ، أما

أهل التخيل فهم زنادقة قرامطة يتلاعبون بالنصوص ويخترعون من عند أنفسهم دعاوى بلا دليل .

الفائدة الثانية والعشرون: الطبيعة الإنسانية بالتعلق بالشهوات الدنيوية العاجلة وإنكار الآخرة.

الفائدة الثالثة والعشرون: كمال نعيم المؤمنين يوم القيامة حتى يظهر أثره على وجههم.

الفائدة الرابعة والعشرون: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

الفائدة الخامسة والعشرون: استحكام قنوط الكافرين، وظهور أثره على وجوههم.

الفائدة السادسة والعشرون: أن الظن يأتي بمعنى اليقين.

الفائدة السابعة والعشرون: أن منتهى منازل الروح من البدن الحلقوم والتراقي.

الفائدة الثامنة والعشرون: تشبث الإنسان بالحياة ونفاذ قدر الله فيه.

الفائدة التاسعة والعشرون: شدة الاحتضار والنزع وكرب الموت واجتماع الشدائد.

الفائدة الثلاثون: التلازم بين التصديق والعمل.

والرد على المرجئة، فمن أخرج العمل عن مسمى الإيمان فهو مرجئ.

الفائدة الحادية والثلاثون: ترك الصلاة منافي للإيمان ، مخرج من الملة ، موجب للنار.

°

الفائدة الثانية والثلاثون: التصديق والصلاة قسيان للتكذيب والتولي.

الفائدة الثالثة والثلاثون: عدم مبالاة الكافر بكفره واستصغاره لذنبه وخيلائه وكبره.

الفائدة الرابعة والثلاثون: الدعاء على الكافر.

الفائدة الخامسة والثلاثون: الاستدلال العقلي على مُنكر البعث.

الفائدة السادسة والثلاثون: الاستدلال الحسي على مُنكر البعث.

الفائدة السابعة والثلاثون: عظمة خلق الله وبديع صنعه ، وكمال حكمته في وصفه سبحانه لتخليق الجنين سبحانه وبحمده.

الفائدة الثامنة والثلاثون: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث ونفي الحكمة.